

سلسلة
كُنْ
كن متواضعاً
منتدى اقرأ الثقافي
www.iqra.ahlamontada.com



سلسلة كُن

٢٤

كُن متواضعاً



إعداد
صفاء رشاد

إشراف
عاطف عبد الرشيد

الموضوع : الآداب (القصص)
العنوان : كن متواضعاً
إعداد : صفاء رشاد
عدد الصفحات : ١٦
قياس الصفحات : ١٤×٢٠



سورية - دمشق - حلبوني - ص.ب ٢٥٢٣٧
فاكس : ٢٤٥٤٠١٣ ١١ +٩٦٣ هاتف ٢٤٥٣٦٣٨ ١١ +٩٦٣
algwthani@scs-net.org

الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

التَّواضُعُ صِفَةُ العُقَلاءِ، فَالمتَواضعُ هُوَ الَّذِي أدْرَكَ قَدْرَ نَفْسِهِ، وَمَدَى قُدْرَةِ الله عَلَيْه، فَذلَّ لله تَواضُعًا..

والتَّواضُعُ هُوَ التَّذلُّلُ والخُشوعُ والخُضُوعُ لله ﷻ، وَهُوَ لاَ يَعْنِي انْكِسَارَ المؤمنِ لِغَيْرِهِ مِنْ أهْلِ الكُفْرِ، بَلْ تَذلُّلَهُ لله ولرَسُولِهِ ولِلمُؤمنينَ، قَالَ تَعالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]. وَيَحُثُّنَا رَسُولُ الله ﷺ عَلَى التَّواضُعِ قَائِلاً: "إنَّ الله أوْحَى إلَيَّ أنْ تَواضَعُوا، حَتَّى لا يَفْخَرَ أحَدٌ عَلَى أحَدٍ، ولا يَبْغِيَ أحَدٌ عَلَى أحَدٍ" [مسلم].

ولِلمُتَواضِعِ ثَوَابٌ كَبيرٌ فِي الدُّنيَا والآخِرَةِ، حَيثُ أنَّهُ لاَ يُشارِكُ اللهَ ﷻ فِي صِفةٍ اخْتَصَّ ذَاتَهُ بِهَا. قَالَ ﷺ: "يَقُولُ الله جَلَّ وَعَلاَ: الكِبْرِيَاءُ رِدَائِي والعَظَمَةُ إزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي فِي وَاحِدٍ مِنْهَا ألْقَيتُهُ فِي النَّارِ"[ابن ماجه].

وَفِي هَذا الكِتابِ نَتعرَّفُ عَلَى التَّواضُعِ وأهميَّتَهُ لِكلِّ إنسَانٍ.

كُنْ مُتَواضِعًا

إنَّ المسلِمَ الحقِيقيَّ يَتَخلَّقُ بِالتَّواضعِ، ويَنْبذُ الكبرَ والغرورَ لأنَّهُ يَعْلَمُ أنَّ المسْلِمَ المتواضعَ قريبٌ مِنَ اللهِ وحبيبٌ إلى النَّاسِ.

ولِلتواضعِ صورٌ نَحثُّكَ علَى التَّخلُقِ بِهَا، وَهيَ:

* كُنْ مُتَواضِعًا للهِ ولِرسُولِهِ ﷺ.

* كُنْ مُتَواضِعًا مَعَ النَّاسِ.

كُنْ مُتَواضِعًا للهِ ولِرسُولِهِ ﷺ

التَّواضُعُ للهِ ولِرسُولِهِ فرِيْضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ ومُسْلِمَةٍ، فَلَيْسَ مُسْلِمٌ مُكْتَمِلُ الإيْمَانِ مَنْ لاَ يَتَواضَعُ للهِ ولِلرَّسُولِ، فَيُؤمِنُ بِاللهِ ﷻ، ويُقِرُّ بِرِسَالاتِ الرُّسُلِ والأنْبِيَاءِ.

*** كُنْ مُلْتَزِمًا بِخُلُقِ التَّواضُعِ للهِ ولِرسُولِهِ بِمَا يَلِي:**

١ ـ **طَاعَةُ اللهِ وَرَسُولِهِ**: يكُونُ تَواضُعُ المَرءِ للهِ ولِرَسُولِهِ بَأنْ يكُونَ طَائِعًا يُلَبِّي كُلَّ مَا أُمرَ بِهِ، ويَبْتَعِدُ عَنْ كُلِّ مَا نُهِيَ عَنْهُ مَخافَةَ مِنَ اللهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢].

٢ ـ عَدَمُ الارْتِدادِ عَنِ الدِّينِ: الرِّدَّةُ عَنْ دِينِ اللهِ عِقَابُهَا عَذَابُ النَّارِ، فَلَيْسَ مُتَواضعاً للهِ وَرَسُولِهِ مَنْ يَرْتَدُّ عَنِ الدِّينِ ويَبْتَغِي غَيْرَ الإسْلامِ دِينًا. قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].

٣ ـ عَدَمُ تَكْذِيبِ الرُّسُلِ: بَعَثَ اللهُ الرُّسُلَ هُدَاةً لِخَلْقِه، وَأَكْمَلَ اللهُ رِسَالاتِه بِبَعْثِ نَبِيِّهِ الخَاتمِ (مُحَمَّدٍ ﷺ)، وتَكْذِيبُ الرُّسُلِ أمْرٌ مُحرَّمٌ، يَدُلُّ عَلَى عَدمِ تَواضُعِ المَرْءِ للهِ وَرُسُلِهِ، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧].

٤ ـ عَدَمُ التَّكبرِ عَلَى اللهِ: التَّكَبُّرُ عَلَى اللهِ لاَ يَفْعلُهُ إلاَّ كُلُّ هَالِكٍ مَمْقُوتٍ مِنَ اللهِ والنَّاسِ، فَقَدْ يَسْأَلُ سَائِلٌ: كَيفَ يكُونُ التَّكَبُّرُ عَلَى اللهِ؟ وَنَقُولُ: إنَّ التَّكَبُّرَ عَلَى اللهِ يكُونُ بِتَرْكِ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ، وَإتْيانِ مَا نَهى عَنْهُ، فِي غَيرِ مخَافةٍ مِنْ عِقَابِ اللهِ وَعَذَابِهِ، يُرْوَى عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: "..ومَنْ تكَبَّرَ عَلَى اللهِ دَرَجَةً يَضعَهُ اللهُ بِهِ دَرجَةً حَتَّى يَجْعَلَهُ فِي أَسفَلِ سَافِلِينَ"[ابن ماجه].

٥ـ عَدَمُ الخُيلاءِ : النَّفسُ أمَّارَةٌ بِالسُّوءِ، فَهِيَ تَدعُو صَاحِبَها إلى الخُيَلاء والاعْتدَاد بِذَاته والتَّكبُّرِ عَلَى الله، فَعَنِ ابنِ عُمَرَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا ـ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: بَيْنَما رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، يَجرُّ إزَارَهُ (ثَوْبَهُ) مِنَ الخُيَلاءِ، خُسِفَ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ (يَغُوصُ) فِي الأَرْضِ إلَى يَومِ القِيَامَةِ"[البُخارِي ومسلم].

٦ ـ الاعْتِرَافُ بِقُدْرَةِ الله : عَلَى المرءِ أَنْ يُدْرِكَ أَنَّ القُوَّةَ والقُدْرَةَ بِيَدِ الله ﷻ، وَلَوْ نَظَرَ إلى نَفْسه لأَدْرَكَ ذَلكَ، فَهُوَ مَهمَا بَلَغَ مِنْ قُوَّةٍ يَضْعُفُ بِمرُورِ الوَقْتِ، حَيْثُ تَضْعُفُ عِظَامُهُ، وَتَتَقَلَّصُ عَضَلاتُهُ، وَيُصبِحُ ضَعِيفًا، لاَ قُدْرَةَ لَهُ وَلاَ حِيْلَةَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾ [الرُّوم: ٥٤].

٧ ـ الاتّعاظُ بِالمَوت : المَوتُ فِي النَّاسِ خَيْرُ وَاعظٍ، فَكَمْ مِنْ قَرِيبٍ لَنَا أَخذَهُ المَوْتُ فَجْأَةً، وَإِذَا وَقَفَ المُتَكبِّرُ أَمَامَ حَقِيْقَةِ المَوت، لأَدْرَكَ أَنَّهُ مَيِّتٌ لاَ مَحَالَةَ فِي ذَلكَ، فَهَلْ يَتَكَبَّرُ..؟! يَقُولُ الشَّاعرُ:

أَتَيْـــتُ القُبُــورَ فَنَادَيْتُهَـــا ... فَأَيْنَ المُعظَّـمُ والمُحتَقَـرْ؟
وَأَيْـــنَ المُـــذِلُّ بِسُـــلْطَانِهِ ... وَأَيْنَ العَزِيزُ إِذَا مَا افْتَخَـرْ؟

* ثِمَارُ التَّمسكِ بِخُلُقِ التَّواضُعِ مَعَ اللهِ وَرَسُولِهِ.

١ ـ الرِّفْعَةُ: التَّواضُعُ يَرْفَعُ دَرَجَةَ الإنْسانِ عِنْدَ رَبِّهِ، فَكُلَّمَا زَادَ تَواضُعًا للهِ وَلِرَسُولِهِ، كُلَّما ازْدَادَ قَدْرُهُ عِنْدَ اللهِ، وَرَدَ عَنْ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ ﷺ مَرْفُوعًا، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبارَكَ وَتَعَالَى: "مَنْ تَواضَعَ لِي هكَذا (وَجَعَلَ بَاطِنَ كَفِّهِ إِلَى الأرْضِ)، رَفَعْتُهُ هكَذا (وَجَعَلَ بَاطِنَ كَفِّهِ إِلَى السَّمَاءِ وَرَفَعَها نَحْوَ السَّمَاءِ)" [أحمد].

٢ ـ الجَنَّةُ: التَّواضُعُ يُدْخِلُ صَاحِبَهُ الجَنَّةَ وَيَقِيهِ عَذَابَ النَّارِ، فَعَنْ ثَوبَانَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ مَاتَ وهُوَ بَرِيءٌ مِنَ الكِبْرِ والغُلُولِ والدَّيْنِ دَخَلَ الجَنَّةَ" [الترمذي].

٣ ـ أعْلَى الدَّرجَاتِ: المتَواضعُ يَرْفَعُ اللهُ تَعَالَى دَرَجَتَهُ، ويَحُطُّ خَطِيئَتَهُ، حَتَّى يكُونَ سَعِيدًا؛ فَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الخُدرِيِّ ﷺ عَنْ رسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: "مَنْ تَواضَعَ للهِ، رَفَعَهُ اللهُ، وَمَنْ تَكَبَّرَ وَضَعَهُ اللهُ، وَمَنْ أكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ اللهِ أَحَبَّهُ اللهُ" [ابن ماجه].

٤ ـ مَعَ الرَّحْمنِ: التَّواضُعُ يُقَرِّبُ العَبْدَ مِنَ اللهِ تَعَالَى وَيَجْعلُهُ رَاضِيًا عَنْهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾

[الفُرقان: ٦٣]. فَمَنْ تَواضَعَ للهِ، نَالَ شَرَفَ القُرْبِ مِنْهُ، فَيكُونُ مِنْ عِبَادِ اللهِ.

كُنْ مُتَواضِعًا مَعَ النَّاسِ

إنَّ التَّواضُعَ لِلنَّاسِ جُزْءٌ مِنَ تَواضُعِ المرءِ لِربِّهِ، فَقَدْ أمَرنَا اللهُ بِحُسْنِ مُعامَلَةِ النَّاسِ، والتَّواضُعِ لَهُم، وَعَدَمِ التَّكَبُّرِ عَلَيْهِمْ.

*** كُنْ مُلتَزِمًا بِخُلُقِ التَّواضُعِ مَعَ النَّاسِ بِمَا يَلِي :**

١ ـ **حُسنُ مُعَامَلَتِهِم :** مَعَامَلَةُ النَّاسِ بِرِفْقٍ وَلِينٍ دَلِيلٌ عَلَى التَّواضُعِ لَهُم، وَذَلِكَ بِأنْ يُعامِلَ النَّاسَ بِمِثْلِ مَا يُحبُّ أَنْ يُعَامِلُوهُ بِهِ، فَيُحْسِنُ مُخَاطَبَتَهُمْ، وَيَتَسامَحُ مَعَهُم.

الحَسَنُ بنُ عَليٍّ والصِّبَيَانُ المسَاكِينُ : يُحكَى أَنَّ الحَسَنَ ابنَ عَليٍّ ﷺ مَرَّ فِي يَوْمٍ بِمَجْموعَةٍ مِنَ الصِّبيانِ المسَاكِينِ، الَّذينَ يَسألُونَ النَّاسَ، فَوَجَدَهُمْ جَالِسينَ عَلَى الأَرْضِ يَأكُلُونَ لُقَيْماتٍ مِنَ العَيْشِ فَسلَّمَ عَلَيْهِم، فَرَدُّوا السَّلاَمَ، وَدَعَوهُ أَنْ يَأكُلَ مَعَهُم فَنَزَلَ عَنْ بَغْلَتِهِ، وَقَالَ: نَعَمْ، إنَّ اللهَ لا يُحبُّ المُتَكبِّرِينَ، ثُمَّ جَلَسَ مَعَهُم، وأكَلَ مِنْ طَعَامِهِمْ، وَبَعْدَ أَن انْتَهُوا مِنَ الطَّعَامِ، قَامَ الحَسَنُ وَأخَذَهُم عَلَى دَابَّتِهِ، ثُمَّ

أطْعَمَهُم فِي مَنْزِلِه، وكَسَاهُم (أعْطاهُمْ ثِيابًا). ولَمَّا سُئِلَ الحَسَنُ عَنْ سَبَبِ إطْعَامِهِم وكسْوَتِهِم قَالَ: الفَضْلُ لَهُمْ، لأنَّهُم لَمْ يَجِدُوا مَعَهُم غَيْرَ قِطَعِ الخُبْزِ الَّذِي أطْعَمُونِي، ولَكِنِّي أجِدُ كَثِيرًا مِمَّا أعْطيتُهُم، فَيَجِبُ أنْ أُقَابِلَ الحَسَنَةَ بِمِثْلِهَا وأحْسنَ.

تَواضُعُ سَلْمَانَ الفَارِسِيِّ: كَانَ الصَّحَابيُّ سَلْمَانُ الفَارِسِيُّ ﷺ أمِيرًا عَلَى المَدَائِنِ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أهْلِ الشَّامِ مَعَهُ حِمْلٌ، وكَانَ سَلْمَانُ يَرْتَدِي سَرَاوِيلَ عَجَمِيَّةً، وكَانَ الرَّجلُ الشَّامِيُّ لاَ يَعْرِفُ سَلمَانَ، فَقَالَ الرَّجُلُ لِسَلمَانَ: تَعَالَ احْمِلْ. وكَانَ يَحْسَبُهُ حَمَّالاً، فَحَملَ سَلْمانُ، فَلَمَّا رَآهُ النَّاسُ عَرَفُوهُ، فَقَالُوا: هَذَا الأمِيرُ! فَقَالَ الرَّجُلُ: لَمْ أعْرِفْكَ. وأرادَ أنْ يَرفعَ الحمْلَ عَنهُ، فَرفضَ سَلمَانُ، وقَالَ: لا.. حَتَّى أبْلُغَ (أصِلَ) مَنْزِلَكَ، قَدْ نَويتُ نِيَّةً، فَلاَ أضَعُهُ حَتَّى أبْلُغَ مَنْزِلَكَ. [السلوك الاجتماعي: ٧١].

عُمَرُ بنُ عَبْدِ العَزيزِ والجَارِيَةُ: حكَى النَّضِيرُ بنُ سَهْلٍ عَنْ أبِيهِ، فَقَالَ: قَالَ عُمَرُ بنُ عَبْدِ العَزيزِ لِجَارِيَتِهِ يَوْمًا: رَوِّحِينِي بِالمرْوَحَةِ حَتَّى أنَامَ، فَرَوَّحَتْهُ فَنَامَ، وبَيْنَمَا هِيَ تُرَوِّحُهُ غَلَبَهَا النَّومُ، فَنَامَتْ، فَلَمَّا انْتَبَهَ عُمَرُ وَجَدَهَا نَائِمةً، فَأخَذَ المرْوَحَةَ وَجَعَلَ يُرَوِّحُها، فَلَمَّا قَامَتْ مِنْ نَوْمِها، وَرَأَتْ أمِيرَ المؤمِنِينَ يُرَوِّحُها، خَجِلَتْ وَخَافَتْ، فَقَالَ لَهَا عُمَرُ بنُ عَبْدِ العَزِيزِ: لا

تَخَافِي، إنَّما أنْت بَشَرٌ مِثْلِي، أصَابَكِ مِنَ الحَرِّ مَا أصَابَنِي، فَأحْبَبْتُ أَنْ أُرَوِّحَكِ كَمَا رَوَّحْتِنِي. [أحسن القصص: ٢٥٦].

المَأْمُونُ وَيحيى بنُ أكْثَمَ: عَنِ القَاضِي يَحْيى بنِ أكْثَم قَالَ: بِتُّ لَيْلَةً عِنْدَ الخَلِيْفَةِ المَأْمُونِ، وَفِي جَوْفِ اللَّيلِ قُمْتُ لأَشْرَبَ مَاءً، فرآنِي المَأْمُونُ، فَقَالَ: مَا لَكَ يَا يَحْيى؟ فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ المُؤمنينَ أَنَا واللهِ عَطْشانُ. قَالَ: ارْجِعْ إِلى مَوْضِعكَ. فَقَامَ ـ واللهِ ـ وَحَمَلَ المَاءَ فَجَاءَنِي بِكُوزِ مَاءٍ، وَقَامَ عَلَى رَأْسِي، فَقَالَ: اشْرَبْ يَا يَحْيَى. فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ المُؤمنينَ، هَلاَّ وَصِيفًا أَوْ وَصِيفَاتٍ (أَلَيْسَ هُنَاكَ خَادِمٌ أَوْ جَارِيَاتٌ). قَالَ: إنَّهُم نِيَامٌ. قُلْتُ: كُنْتُ أَنَا أَقومُ لِلشُّربِ. فَقَالَ: لُؤمٌ بالرَّجُلِ أَنْ يَسْتَخْدِمَ ضَيْفَهُ [السمير المهذب: جـ٢ص٢٣ ـ ٢٤].

٢ ـ دَفْعُ الكِبْرِ وَرفْضُهُ: المسْلِمُ لا يُنْصِتُ لِنِدَاءِ التَّكبُّرِ والتَّعَالِي وَإِنَّمَا يَدْفَعُ الكِبْرَ وَيَرْفُضُهُ.

عمرُ بنُ الخطَّابِ يَدْفَعُ الكِبْرَ: وَرَدَ أَنَّ عُمَرَ بنَ الخطَّابِ ﷺ نَادَى: الصَّلاةُ جَامعةٌ.. فَلَمَّا اجْتَمَعَ النَّاسُ، صَعدَ المِنْبَرَ، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْه، وَصَلَّى عَلَى نَبِيِّه ﷺ ثُمَّ قَالَ: أَيُّها النَّاسُ، مَا يَسُرُّنِي لَقَدْ رَأَيْتُنِي أَرْعَى عَلَى خَالاَتٍ لِي مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ، فَيُقْبَضُ لِيَ القَبْضَةُ مِنَ التَّمْرِ فَأَظَلُّ اليَوْمَ.. فَقَالَ لَهُ

عَبْدُ الرَّحْمنِ بنُ عَوْفٍ: واللهِ يَا أَمِيرَ المُؤمنينَ، مَا زدتَ عَلَى أنْ قَصَّرْتَ بِنَفْسِكَ. فَقَالَ عُمَرُ ﷺ: وَيْحكَ يا بنَ عَوْفٍ، إِنِّي خَلَوْتُ فَحَدَّثَتْنِي نَفْسِي، فقَالَتْ: أَنْتَ أَمِيرُ المُؤمِنينَ، فَمَنْ ذَا أفْضَلُ مِنْكَ؟ فَأَرَدتُ أَنْ أُعَرِّفَهَا نَفْسَهَا. [السمير المهذب جـ٢ ص١٨ ـ ١٩].

٣ ـ تَقَبُّلُ النَّصِيحَةِ: مِنْ تَواضُعِ المَرءِ للنَّاسِ أَنْ يَتَقَبَّلَ نُصْحَهُمْ لَهُ وَلاَ يَرْفُضَ ذَلكَ. يُحكى أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِعُمَرَ بنِ الخَطَّابِ ﷺ اتَّقِ اللهَ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: أَتَقُولُ لأَمِيرِ المُؤمنينَ اتَّقِ اللهَ؟! فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: دَعْهُ فَلْيَقُلْهَا لِي، نِعْمَ مَا قَالَ، لاَ خَيْرَ فِيكُمْ إِذَا لَمْ تَقُولُوهَا، وَلاَ خَيْرَ فِينَا إِذَا لَمْ نَقْبَلْهَا.

نَصِيحَةُ خَوْلَةَ بنتِ حَكيمٍ لِعُمَرَ بنِ الخَطَّابِ: يُروَى أَنَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ ﷺ مَرَّ عَلَى المعَلَّى بنِ الجَارُودِ، فَلَقِيَتْهُ امْرأةٌ مِنْ قُرَيشٍ فَقَالَتْ لَهُ: يَا عُمَرُ، فَوَقَفَ لَهَا فقَالَتْ: كُنَّا نَعْرِفُكَ مَرَّةً عُمَيرًا، ثُمَّ صِرْتَ عُمَرَ بَعْدَ عُمَيرٍ (تَقْصِدُ عنْدما كانَ صَغيرًا)، ثُمَّ صِرْتَ بَعْدَ عُمَرَ أَميرًا للمُؤمِنينَ، فاتَّقِ اللهَ يَا ابنَ الخَطَّابِ، فَانْظُرْ فِي أُمورِنَا، فَإِنَّهُ مَنْ خَافَ الوَعِيدَ، قَرُبَ عَلَيه القَصِيدُ، وَمَنْ خَافَ المَوْتَ، خَشِيَ الفَوْتَ. فَقَالَ لَهَا المعَلَّى: إِلَيْكِ يَا أَمَةَ اللهِ (كَفَاكِ)، لَقَدْ أَبْكَيْتِ أَمِيرَ المُؤمِنينَ. فَقَالَ لَهُ

عُمَرُ: أتَدْرِي مَنْ هَذِهِ؟ وَيْحكَ، هَذِه خَوْلَةُ بِنتُ حكَيمٍ الَّتِي سَمعَ اللهُ قَوْلَها مِنْ تَحْتِ سَمَائِه، فَعُمَرُ أحْرَى (أحَقُّ) أنْ يَسْمَعَ قَوْلَها ويَقْتَدِيَ بِهَا. [السمير المهذب: جـ٢ص١٧].

٤ - تَوْقِيرُ واحْتِرَامُ الآخَرِينَ: يكُونُ المَرءُ مُتَواضِعًا لِلنَّاسِ كُلَّمَا ازْدَادَ تَوقِيرُهُم لَهُ.

قِصَّةُ وَلَدَي هَارُونَ الرَّشيدِ مَعَ الْمُعَلِّمِ: يُرْوَى أنَّ الكَسَّائِيَّ مُعَلِّمَ ابْنَي هَارُونَ الرَّشيدِ (وهما الأمِينُ والمَأمُونُ)، بَعْدَ أنْ انْتَهَى ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ إلقَاءِ دُرُوسه علَيهِمَا، أرَادَ أنْ يَنْصَرِفَ، فَتَنَازَعَ الأمِينُ والمَأمُونُ عَلَى أَنْ يُقَدِّمَا نَعْلَهُ لَهُ، وانْتَهَى الأمْرُ إلى أنْ يُقَدِّمَ كُلٌّ وَاحدٍ منْهُمَا وَاحِدَةً مِنْ نَعْله، فَلَمَّا وَصَلَ هَذَا الخَبَرُ إلى الخَلِيفةِ هَارُونَ الرَّشِيدِ، أرْسَلَ إلى الكَسَّائِيِّ لمُقَابَلَته، وَعِنْدَمَا حَضَرَ إليه سَألَهُ: مَنْ أعَزُّ النَّاسِ؟ قَالَ: لاَ أعْلَمُ أعَزَّ مِنْ أمِيرِ المؤمنينَ. قَالَ: بَلَى: إنَّ أعَزَّ النَّاسِ مَنْ إذَا نَهَضَ تَقَاتَلَ عَلَى تَقْدِيمِ نَعْلَيْهِ وَلِيَّا عَهْدِ المسْلِمينَ حَتَّى يَرْضَى كُلٌّ مِنهُمَا أنْ يُقَدِّمَ لَهُ فَرْدَةً مِنْهَا.

فَأخَذَ الكَسَّائِيُّ يَعْتَذِرُ خَشيَةَ أنْ يكُونَ قَدْ أخْطأ، فَقَالَ الرَّشيدُ: لَوْ مَنَعْتَهُمَا عَنْ ذَلكَ لأوْجَعْتُكَ لَوْمًا وَلألْزَمْتُكَ ذَنْبًا، وَمَا وَضَعَ (قَلَّلَ) مَا فَعَلا مِنْ شَرَفِهِمَا، بَلْ رَفَعَ مِنْ قَدْرِهِمَا،

وَبَيَّنَ جَوْهَرَهُمَا، وَلَقَدْ تَبَيَّنَتْ مَخْيلَةَ الفَرَاسَةِ بِفعْلِهِمَا، فَلَيْسَ يكبَرُ المَرءُ وَإِنْ كَانَ كَبِيرًا عَنْ ثَلاث: تَواضُعه لسُلْطَانه ولوالدَيْه ولِمُعَلِّمِه. ثُمَّ قَالَ هَارُونُ الرَّشِيدُ: لَقَدْ عَوَّضْتُهُما مِمَّا فَعَلا عِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَلَكَ عَشْرَةُ آلاَفِ دِرْهَمٍ عَلَى حُسْنِ تَأْدِيبِكَ لَهُمَا، فَهكَذَا يَكُونُ عَطَاءُ المُلُوكِ. [السمير المهذب: جـ٢ص٢٣: ٢٢].

*** ثِمارُ التَّمسُّكِ بِخُلُقِ التَّواضُعِ مَعَ النَّاسِ:**

١ ـ الرِّفْعَةُ مِنَ اللهِ: يَرْفَعُ اللهُ المتَواضِعَ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ، فَيَجْعَلُهُ مَرْفُوعًا عِنْدَ النَّاسِ، لأَنَّهُ وَضَعَ نَفْسَهُ أَمَامَهُم، وَلَمْ يَتكَبَّرْ عَلَيْهِمْ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ تَوَاضَعَ لأَخِيهِ المُسْلِمِ رَفَعَهُ اللهُ"[الطبراني].

٢ ـ أفْضَلُ العِبَادَاتِ: التَّواضُعُ خُلُقٌ كَرِيمٌ، وَهُوَ مِنْ أَفْضَلِ العِبَادَاتِ، تَقُولُ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رضي الله عنها: إِنَّكُمْ لَتَغْفُلُونَ عَنْ أَفْضَلِ العِبَادَاتِ: التَّوَاضُعُ.

٣ـ أفْضَلُ الرِّجَالِ: المُتَواضِعُ أَرْفَعُ النَّاسِ قَدْرًا، وَأَعْظَمُهُمْ مَنْزِلَةً، سُئِلَ عَبْدُ المَلكِ بنُ مَروَانَ: أيُّ الرِّجالِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: مَنْ تَوَاضَعَ عَنْ قَدْرِهِ، وَزَهدَ عَنْ رَغْبَةٍ، وَتَرَكَ النُّصْرَةَ (أَيْ أَنْ يَنْتَصِرَ لِنَفْسِهِ) عَنْ قُوَّةٍ.

٤ ـ رَفْعُ البَلاءِ : مِنْ فَضْلِ التَّواضُعِ أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَرْفَعُ بِهِ البَلاءَ عَنِ المتَواضِعِينَ، بَلْ قَدْ يَرفعُ اللهُ العَذابَ عَنِ النَّاسِ جميعًا إكرامًا للمُتَواضعينَ، يُرْوَى عَنْ مُوسَى بنِ القَاسِمِ أَنَّهُ قَالَ: كانَتْ عِنْدَنَا زَلْزَلَةٌ (زِلْزَالٌ) وَرِيحٌ حَمْراءُ، فَذَهبْتُ إِلى مُحَمَّدِ بنِ مُقَاتِلٍ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ الله، أَنْتَ إِمَامُنَا، فادْعُ اللهَ ـ عزَّ وجلَّ ـ لَنَا أَنْ يُذهِبَ هَذَا البَلاَءَ. فَبكَى مُحَمَّدُ بنُ مُقَاتِلٍ، ثُمَّ قَالَ لي: لَيْتَنِي لَمْ أَكُنْ سَبَبَ هَلاكِكُمْ. ثُمَّ رَفَعَ اللهُ البَلاءَ عَنَّا. فَرَأيتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي النَّومِ، فَقَالَ: إنَّ اللهَ رَفَعَ عَنْكُمُ البَلاءَ بِدُعَاءِ مُحَمَّدِ بنِ مُقَاتِلٍ.

لاَ تَكُنْ مُتَكَبِّرًا

الكِبْرُ هُوَ عُجْبٌ بِالنَّفْسِ وَزَهْوٌ بِهَا، وَهُوَ فِي حَقِّ اللهِ سُبحَانَهُ وتَعَالَى كُفْرٌ، وَفِي حَقِّ الرُّسُلِ جُحودٌ، وَفِي حَقِّ النَّاسِ والمخْلُوقَاتِ سُوءُ مُعَامَلَةٍ.

١ ـ مُتَكَبِّرُونَ عَنِ العِبَادَةِ: هُنَاكَ مَنْ يَتكَبَّرونَ عَلَى رَبِّهِمْ، فَيُهمِلُونَ عِبادَتَهُ، وَلاَ يُؤدُّونَ حَقَّ الله ﷻ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

٢ ـ عِبْرَةٌ لِمَنْ يَخْشَى : تَكَبَّرَ فِرعَونُ وَعَلاَ فِي الأَرْضِ، فَكَانَ جَزَاؤهُ أَنْ أغْرَقَهُ اللهُ، وَجَعَلَه عِبْرَةً لِمَنْ يعْتَبِرُ وَيَخْشَى رَبَّهُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ﴾ [النَّازِعات: ٢٦ : ٢٣].

٣ ـ بِئسَ المَصِيرُ : الكِبْرُ تَجرُؤٌ عَلَى اللهِ، لِذَلِكَ تَوَعَّدَ اللهُ المُتَكَبِّرِينَ بِسُوءِ العَاقِبَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ [غافر: ٧٦].

إمَامُ المتكَبِّرِينَ: يُعَدُّ إبْلِيسُ إمَامَ المُتَكَبِّرِينَ بعصْيانِهِ لِربِّهِ، فَلَعَنَهُ اللهُ إِلى يَوْمِ الدِّينِ (يوم القِيامَةِ)، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الحجر: ٣٥ : ٣٤].

اِعْرِفْ نَفْسَك

صَارِحْ نَفْسَكَ فِي تَحْدِيدِ مَا إِذَا كُنْتَ مُتَواضِعًا أَمْ مُتكَبِّرًا بالإجَابَةِ عَنْ هَذهِ الأسْئِلَةِ:

١ ـ هَل أَنتَ مُتواضِعٌ للهِ تَعَالَى؟

٢ ـ إِذَا كَانَ مِنْ أَصْدِقَائِكَ مَنْ يترُكُ الصَّلاةَ، فَبِمَ تَنْصَحُهُ؟

٣ ـ المَوتُ ضِدُّ الكِبْرِ (وَضِّحْ ذَلِكَ)؟

٤ ـ مَاذَا تُفِيدُ قِصَّةُ الحَسَنِ بنِ عَلِيٍّ مَعَ الصِّبيانِ المَسَاكينِ؟

٥ ـ مَنْ هُوَ الأَميرُ الَّذي ظَنَّهُ أَحَدُ النَّاسِ حَمَّالاً فَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يحمِلَ حَاجَاتِهِ فَلَبَّى تَواضُعًا مِنْهُ؟

٦ ـ اذْكُرْ موقِفًا يُشيرُ إِلى تَواضُعِ الخَليفَةِ المأْمُونِ؟

٧ ـ هَلْ تَقبَلُ النَّصِيحَةَ؟

٨ ـ كَانَ فِرْعَوْنُ مُتَكبِّرًا، فَكَيفَ كَانَ جَزَاؤُهُ؟

٩ ـ اذكُرْ مِثَالاً تُوَضِّحُ بِهِ تَواضُعَ وَلَدَي هَارُونَ الرَّشيدِ (الأَمِينِ والمَأْمُونِ) لِمُعَلِّمِهِما؟

١٠ ـ مَنْ هُوَ إِمَامُ المُتَكَبِّرِينَ؟ وكَيفَ كَانَ جَزاؤُهُ؟

** ** **



سلسلة كن

١-كن أميناً
٢-كن باراً
٣-كن تائباً
٤-كن حليماً
٥-كن حيياً
٦-كن راضياً
٧-كن رحيماً
٨-كن رفيقاً
٩-كن زاهداً
١٠-كن شاكراً
١١-كن شجاعاً
١٢-كن صابراً
١٣-كن طائعاً
١٤-كن صادقاً
١٥-كن عادلاً
١٦-كن عزيزاً
١٧-كن عفواً
١٨-كن عفيفاً
١٩-كن كتوماً
٢٠-كن كريماً
٢١-كن مؤثراً
٢٢-كن متأنياً
٢٣-كن متعاوناً
٢٤-كن متواضعاً
٢٥-كن متفائلاً
٢٦-كن متوكلاً
٢٧-كن محباً
٢٨-كن مخلصاً
٢٩-كن مستقيماً
٣٠-كن مشاوراً
٣١-كن مضحياً
٣٢-كن معتدلاً
٣٣-كن نصوحاً
٣٤-كن ورعاً
٣٥-كن وفياً

٨١٠٠٥٤